الدكتور/عبدالحليم نورالدين عالم الآثار العربي يتحدث لـ« الثورة » :

واقع الآثار العربية مؤلم ..والوعي الأثري يعاني غيبة

د .عبدالحليم نورالدين اكاديمي عربي مصري معروف يعمل استاذا للغة والآثار المصرية القديمة وتاريخ مصر والشرق الادنى القديم حيث يشغل منصب عميد كلية الآثار جامعة القاهرة «فرع الفيوم» بالاضافة الى ادارة مركز الخطوط بمكتبة الاسكندرية .

ومع انه ليس مقيما في اليمن حاليا ، إلا انه يحمل قلبه وعقله هموم الآثار اليمنية واليه يعود الفضل في تأسيس قسم الآثار بجامعة صنعاء حيث عمل منذ العام ٨٠ الى ٨٦م .

كما يحمل هموم امته العربية .. وعلى مدى سنوات طويلة عرف عبدالحليم نورالدين كاستاذ اكاديمي آثاري متميز ، رأس هيئة الآثار المصرية مرتين وقد اشتهر على وجه الخصوص في اليمن باكتشافه لـ «وملياءات» شبام الغراس في العام ١٩٨٣م.

يقوده ايمانه الى سبك انطباعات مغرية عن اليمن ، فبالنسبة له اليمن : هي كل شيء جميل ، وهي الانسان الذكي المتحضر .

وفي هذا الحوار يعرض د .عبدالحليم نورالدين لقضايا الآثار في مجتمعاتنا العربية كيف تندثر وما الذي ينبغي علينا فعله للحفاظ عليها ويتحدث عن الآثار اليمنية تحديدا وواقع المتاحف فيها .. ايضا الكثير من القضايا في هذا الحوار على بساط التساؤل والاجابة ..

نستقدم بعثات أجنبية رغم وجود خبرات عربية والسبب أزمة الثقة

حوار/عبدالله محمد حزام

● بداية الحوار عن حال الآثار العربية كيف تراه كاكاديمي متخصص وما الذي يعانية هذا الحقل الآن ؟

– واقع الآثار العربية بوجه عام بما فيها مصر واقع مؤلم ، لم نصل بعد الى الحد الادنى من درجة الاهتمام كالتسجيل – التوثيق – الحراسة البشرية – حراسة الاجهزة – التنسيق بين هيئات الآثار العربية – العمل العربي المشترك – قانون حماية الآثار نحن نفتقد لكل هذا فلابد من توعية للآثاريين فهناك غيبة في الوعي الأثري والوعي الأثري هو ان يدرك كل مواطن عربي أن تراث الامة هو جزء من شرف الامة ، وهو تاريخ هذه الامة وعرض هذه الامة ولابد ان نحافظ على هذا التراث.

لهذا لابد للانسان اليمني ان يسهم في الحفاظ على التراث بسلوكه كما يفعل المصري أو أي عربي آخر .

نحن نواجه مشاكل كثيرة اهمها تهريب الآثار وتسريبها الى الخارج والتعديات على الآثار بالسرقة أو الهدم أو الانتزاع ، عملية النبش على الآثار وهذه كلها مشاكل قائمة وانا احاول أن اضع تصورا أو خطة عمل لمستقبل العمل الآثاري في اليمن وارجو ان توضع هذه الخطة في الاعتبار خاصة والكادر اليمني الذي يعمل في مجال الآثار متميز ومؤهل وفي النهاية الواقع مؤلم لاننا مبعثرون مشتتون لانلتقي لانتفق لانتعاون مع بعض علميا وفي التنقيب ، نحن نستقدم احيانا بعثات اجنبية في الوقت الذي يوجد لدينا فيه خبرات عربية ، لهذا لابد ان تزال الحساسيات والحواجز بين عالم الآثار في الوطن العربي ولابد ان يكون هناك فهم اكثر وضوحا لشواهد حضارات الامم لدى صناع القرار في الوطن العربي.

حلول واقعية

● ولكن لماذا تأخرت الاستراتيجيات الوطنية للحفاظ على الآثار الى الآن ؟ ماهي الحلول المفترضة ؟

– الاستراتيجية لابد ان تتحرك في مسارين الاول تنفيذي ومنوط به هيئة الآثار والثاني مسار اكاديمي منوط به جامعة صنعاء قسم الآثار – كلية الآداب.

لكن من الضروري الآن إعادة النظر في هيكل هيئة الآثار واقترحت ان تسمى «هيئة الآثار اليمنية» لانها كلها آثار مخطوطات أو متاحف أو مواقع أثرية .

الامر الاخر هو ضرورة تشجيع العنصر البشري ومراعاة أن الاماكن الآثارية اليمنية في مناطق نائية فلابد من تسهيل الوصول اليها لبسط الهيمنة عليها بالاضافة الى صيغة ملائمة للتنسيق مع سكان المناطق النائية في ما يتعلق بحراسة الآثار .

ايضا لابد من وجود حلول للتعامل مع قضية نبش الآثار وضرورة صدور قانون يحرم تجارة الآثار وحيازتها .. ولابد ان ندرك أن كل أرض اليمن آثارية الى أن يثبت عكس ذلك ..

استرداد الآثار اليمنية من متاحف أوروبا أمر صعب .. والائمة اليمنيون قدموها هدايا

الحضارة اليمنية ماتزال في باطن التربة والمكتشف منها مذهل

السياحة القادمة للوطن العربي تاريخية وعلى الحكومات استيعاب ذلك

تنقص الشباب من جيل الآثاريين الامكانات المادية ومنح الفرصة والانتماء

نحتاج الى جهاز متابعة وتعيين كادر أثري ، لأن الأثريين من الخريجين لايعينون «٣٠ الى ٣٥» عدد لايكفي لهذا لابد من دعم مادي جيد وكادر خاص للعاملين في المواقع الأثرية لانهم يواجهون صعوبات ومخاطر كالحشرات وصعوبة البشر والظروف المناخية غير الملائمة في المكان .. فلابد من تقدير عمل الأثري جيدا .

مشكلة التوثيق

● هل يمكن ان تصلوا كآثاريين مع الحكومات إلى صيغة ما لاسترداد آثارنا الموجودة في متاحف العالم أم أن هناك مشكلة ؟

– بالتأكيد هناك خطة وهي ان نتحرك في إطار اتفاقية «استرداد التراث» التي وقعت من بعض الدول العربية عام ١٩٧٢م في اليونسكو وتتيح الاتفاقية استرداد التراث اذا ماكان مسجلا لكن المشكلة في الآثار اليمنية ان بعض الائمة الذين حكموا اليمن اهدوا بعض الآثار وهي الموجودة في المتحف البريطاني .. وبعض قيادات مصر كالخديوي اهدى كماً هائلاً من الآثار «مجموعات كاملة» وهذه لانستطيع بحكم القانون استردادها وانما لابد ان تكون هناك اتفاقيات ومفاوضات على أعلى مستوى اذا ما اردنا استردادها على ان تبدي الدول الاجنبية حسن النية تجاة الدول العربية اصحاب الحضارة .. الامر الاخر لوسرقت منا قطعة الآن وليست مسجلة لن نستطيع ان نستردها خاصة بعد عام ١٩٧٢م .

المشكلة إذاً انه لابد من توثيق كامل للآثار بالكلمة والصورة ويكفي ماجرى في متاحف العراق من سرقة لانه في وقت السرقة لم نكن نعرف هل هي آثار مسجلة أم لا والسجلات لم تكن بالكلمة والصورة ولم تكن مسجلة بالتقنيات الحديثة لهذا عبث الاحتلال بالمتحف الوطني بالعراق ، وبالتالي عندما نوثق الآثار اعتقد انه سيكون بمقدورنا حين يضيع هذا الاثر المطالبة به طبقا للقانون في أي مكان يوجد فيه وهذا ما اكدت عليه هنا في اليمن .

مذهلة

● ماحال خارطة الآثار اليمنية ؟ وما هو المدهش بالنسبة لك فيما تم اكتشافه ؟

– أنا مؤمن بان الارض اليمنية تحوي الكثير من الآثار بمكان أن تكتشف خلال الـ ٢٠٠عام القادمة ، لكن المدهش بالنسبة لي ان ما أراه في السنوات الاخيرة يمثل روائع ، كنت اتصور انه كشف عن الروائع وان الباقي ربما دون المستوى ، لكن المتحف الوطني يضم بعض القطع التي اكتشفت مؤخرا بالاضافة الى الاكتشافات التي في مارب ، ومعين وحضرموت كلها تقول ان الحضارة ماتزال في باطن التربة وماتزال آثار لدى بعض الناس مخباة .. وهنا قطع مبهرة ومذهلة واقول هذا كأثري .. ان هذه القطع تمثل قيمة كبيرة..

الأهم هو حراسة المكان قبل الاكتشاف وترميم الاثر لانه ما الفائدة من ان تكتشف ألفي اثر ولاتملك القدرة على ترميمها لافنيا ولا بشريا ،، انما الآثار اليمنية التي كشف عنها مؤخرا كمحرم بلقيس والآثار المكتشفة الاخرى في « المحويت» «ومقولة» وهي آثار مهمة جدا من كل العصور من ما قبل التاريخ حتى تاريخ اليمن الحديث تقول انه امامنا ٥٠٠ سنة .. كما كشف عن مومياءات حديثة في اماكن كثيرة من اليمن وهذا يؤكد ماقلناه من قبل ان اليمن هي ثاني حضارة بالشرق الادنى القديم التي عرفت التحنيط بعد مصر وهذا معناه ان الانسان اليمني آمن بحياته بعد الموت وهذه نقطة مهمة جدا كان العلماء يبحثون عن الوسائل التي تؤكدها .

صناع القرار

● كيف تنظر الى دور الحكومات العربية في خلق حالة وعي باهمية الآثار ودورها الأقتصادي – هل هو دور مرئي الآن ؟

– الحكومات باعتبارها صانعة القرار السياسي والمالي لابد ان تستوعب قضية الآثار وان تدرك ان آثار الامة هي المردود الثقافي لهذه الامة والبعيد عن شواهد ابداعات هذه الامة والدلالة على تواصل الماضي بالحاضر – فلو آمن صناع القرار بهذا وان الآثار مردود اقتصادي جبار ليس البترول فقط ، السياحة القادمة للوطن العربي هي سياحة تاريخية – سياحة تعنى بالتاريخ والآثار ولابد إذاً ان يستوعب صناع القرار ذلك ويؤمنوا بانه لابد من الحفاظ على هذا التاريخ الذي هو تاريخ الاجيال القادمة ايضا – على الجانب الاخر طبعا على الشباب الأثريين والمهندسين والرممين والفنيين والحراس اليمنيين كلهم لابد ان ينطلقوا من هدف واحد وهو ان مصلحة اليمن فوق كل اعتبار وليس هناك أي اعتبارات اخرى .

بعثات مستوردة

● مادمنا نتحدث في هذا السياق الأثري أن «عقدة الاجنبي» مازالت حاضرة بقوة في المشهد العربي ، فحتى اللحظة مازلنا نستقدم البعثات الاجنبية هل تنقصنا الخبرة أم ماذا ؟

– هذه معضلتنا واقول أن مصر بكل خبراتها في العمل الأثري العربي عندها ٢٠٠ بعثة اجنبية فما بالنا باليمن ، وهي حديثة عهد العمل الأثري بالطبع تنقصنا الخبرة والوقت والانتماء وتنقصنا الامكانات المادية انا شخصيا كاستاذ في جامعة القاهرة لو عندي مرتب يكفيني ووقت كالاجانب وليس ضروري ان ادرس سأصنع الكثير ، الشباب هنا تنقصهم الامكانات ووسائل الاتصالات ومنح الفرصة ايضا ووقت التفرغ .

كي نكون واقعيين هناك اولويات قبل اولوية الثقافة والعمل الأثري وهي أن يأكل الانسان ويشرب ويسكن ويلبس ويتلعم ويتعالج ، اعطني الخبز اولا ثم نتحدث عن الثقافة ، لكن من حسن الحظ ان اليمن تتحرك بمعدلات جيدة في معظم هذه الجوانب ، وايضا هناك تحرك رائع في مجال العمل الأثري لكن ليس هو التحرك الذي اتمناه من عام ١٩٨٠م حتى ١٩٨٦م كنا نعمل في ظل امكانيات صعبة لكن الآن الامكانيات افضل والمتعلمون اكثر الكوادر البشرية متميزة – لهذا نتوقع مستقبلاً مشرقاً للآثار اليمنية .

حال واحد

● برأيك ما الذي ينقص المتاحف الوطنية اليمنية ؟

– حقيقة هي بحاجة الى إعادة نظر شديدة – والدليل في المتحف الوطني لهذا هناك جهد ضخم سيبذل ، الحمدلله اعدنا العرض بنسبة ٧٥٪ ونحتاج لنوع من الاضاءة افضل وصيانة ايضا .. في أيام قليلة منذ وصولي الى اليمن حصل تعديل كبير جدا لأن الشباب اليمني شعر بالروح الجماعية في العمل لكن اتمنى ان يتحرك الشباب اليمني من نفسه وتكون هناك متابعة من وزارة الثقافة وهيئة الآثار .

ما أؤكد عليه هو ان حال المتاحف اليمنية هو حال المتاحف العربية باستثناء حالات قليلة جدا كمتحف الرياض بالسعودية ومتحف البحرين والبقية حالها واحد ، يمكن لدينا متحف مكتبة الاسكندرية ومتحف التحنيط لكن بقية المتاحف الكبيرة كالروماني والاسلامي ليست في المستوى المطلوب لأن العرض ليس جيدا وكذا الاضاءة والبطاقات والمساحات ايضا ليست جيدة في كل الاحوال .

لكن حين تقارن اليمن بما قبل ٢٠ سنة مضت لم تكن هناك متاحف اعتقد ان هناك تحركاً ووعياً نحو وجود متاحف متميزة في اليمن .

إعادة نظر

● بعض الاكاديميين يعيدون حالة التردي لاثارنا الى مناهج الدراسة التي تعاني جمودا كبيرا .. ماتعليقك على ذلك؟

– ندرس حالياً إقامة مؤتمر حول مناهج دراسة علم الاثار في الوطن العربي لانها بحاجة الى اعادة النظر .. وهنا تحول كبير في اليمن باتجاة انشاء كلية اثار وهذا امر مطلوب لان اليمن قلب الجزيرة العربية ، في المملكة العربية السعودية هناك اقسام للاثار لكن نحن بحاجة الى كلية اثار في اليمن تضم قسم اثار قديمة واسلامية وترميم وقسم ارشاد سياحي لانه قسم مهم .

المناهج الحالية بحاجة الى إعادة نظر كل خمس سنوات فهي بحاجة الى اعادة تطوير ومتابعة كل جديد كي نعرف موقعنا مما يدور في فلك هذا العلم الذي هو رصيدنا الحضاري والتاريخي .

القلق مجدداً

● إذاً علينا القلق مجددا بشأن كنوزنا الحضارية سواء كانت مكتشف أو في باطن الأرض ؟

– إذا كانت الآثار في مواقع صحراوية وفي تربة رملية جافة لاخوف عليها طالما انها بعيدة عن النبش ، لكن اذا كانت المواقع في قلب المدينة وهي تعج بالنشاط اليومي والبشري لأبد ان نخشى عليها ايضا لو كان هناك زحف زراعي أومشكلة مياه جوفية لابد من مواجهة المشكلة إذاً لاخوف طالما هناك حراسة للمواقع البعيدة عن الظروف البيئية غير المواتية ، لكن نلجأ للمناطق المهددة باخطار للتعامل معها بشكل سريع ..

أما بقية المناطق الاخرى فتراب الرض احسن على اثارنا منا إذا ما كنا نفتقد القدرة لحمايتها وترميمها .

التحنيط والمومياءات

● اكتشاف المومياءات وقدرة الانسان اليمني القديم في علم التحنيط كيف تنظر اليه ؟

– أمر مذهل وعلامة بارزة على طريق العمل الاثري ، وكما قلت سنة ٨٣م في عيد الثورة «٢٦سبتمبر» ماكنت اتصور يوما ان تكون اليمن قد عرفت التحنيط فقد درست تاريخ الشرق القديم كله ولهذا كانت مفاجأة مذهلة ، وحول هذا ألقيت محاضرة ضمن وفد الثقافة المصرية – وماتزال المفاجآت مذهلة وكل يوم نسمع اكتشافات في هذا الجانب .

هذا يؤكد أمر مهم وهو فهم الانسان اليمني للطب والعلاج والاعشاب الطبية والتشريح وهذا يعني براعته وتميزه بتقنية كبيرة في هذا الجانب والاهم ايمانه بما بعد الموت .

علامة بارزة

● ماهي الاكتشافات الجديدة في اليمن؟

– طبعا هناك اماكن كثيرة كالجوف والمحويت والحدا وبينون اعتقد ان بها الكثير والكثير – ومناطق العصور ما قبل التاريخ كالجوف وخولان بها اشياء كثيرة – ايضا محرم بلقيس يمثل علامة بارزة بالنسبة للاثار اليمنية .

● ما الذي تودون قوله في نهاية هذا الحوار ؟

– المواطن لابد ان يحتضن تراثه لانه تاريخه وشرفه وعرضه وكما يحافظ على بيته واسرته لابد ان يجعل مصلحة الاثار اليمنية فوق كل اعتبار .. والذي يعشق الآثار لابد ان يضحي من اجلها وحين تنشأ بينك وبين الاثار علاقة حب سوف تحافظ على من تحب وماتحب .

أشواق الأمل

عبدالكريم الخميسي

من هو المسؤول ؟!

● عنوان هذه « الأشواق » ليس جديدا ولا مبتكراً .. بل انه مطروق ومستهلك من الجميع ، ولكنه للأسف لم يُوجِّه صور القضايا الوطنية الكبرى بحيث تبرز أهميته وفاعليته .. فهل آن الأوان لتفجير الطاقات الكامنة في دلالاته بحثا عن اجابات (حاسمة) لمشاكلنا (المزمنة) ؟!

● من المسؤول ؟! هناك من يقول أن المسؤول هو : صاحب القرار وليس منفذ القرار .. بينما يرى آخرون انه (ليس على الآمر في وجود المباشر ..) فهل فكرنا جديا في حسم التباين الراهن بين (الرؤيتين) .

والتوصل إلى اجابة متفق عليها ؟! بمعنى : هل يمكن القول ان مايقع في النيابات العامة من تجاوزات يتحمل وزرها النائب العام ؟! .

وهل يصبح ان تتحمل قيادة وزارة الداخلية مسؤولية الأخطاء التي تقع من عسكري المرور أو جندي البلدية ؟!

● فاذا استلهمنا المبدأ القرآني الذي ينص على أن (كل نفس بما كسبت رهينة) قد يأتي من يقول : انه قياس مع فارق .. والفارق ان أي خطأ فردي ناجم عن ضعف في التدريب والتأهيل تصبح المسؤولية فيه مشتركة بين الآمر والمأمور .. واذا أخذنا بالقاعدة التي تقول : إذا صلح الرأس صلح الجسد .. فقد نجد من يحتج بمنطوق الاثر القائل : كيفما كنتم يول عليكم .. »

● ولست هنا في معرض التفلسف والتعقيد غير اني طرحت المسألة على القارئ الكريم ليشاركني البحث عن وسيلة تحول دون ان يتهرب المسؤول عن مسؤوليته ، والا فسيظل السؤال الكبير : (من المسؤول) معلقاً في الهواء بلا .. إجابة ولامجيب !!

ص.ب: ٤٨٤١ صنعاء
alkhmisy@hotmail.com

تأملات

محمد العريقي

ثوابت الوطن

□ .. لا ننكر أن هناك فتورا سائدا في متابعة الاخبار الحزبية لأن المواطن يفضل متابعة الاخبار والقضايا التي تتعلق بهمه وشؤونه المتصلة باحتياجاته اليومية وتحقيق طموح أبنائه في المستقبل.

ولأن الكثير من الاحزاب السياسية اغتربت وترفعت عن هموم المواطن وحصرت نشاطها بمصالحها الخاصة ومع ذلك اعتبرنا هذا الوضع كظاهرة عادية مرتبطة بطبيعة اللعبة السياسية بين السلطة والمعارضة وإن كانت لعبة مملة لأن احتياجات النهوض بالوطن لم تدرج بشكل مجدول ومنظم وفق رؤى وتصورات ومعالجات عاجلة وآجلة في برامج الاحزاب.

● لكن أن يحدث تجاوز لحدود اللعبة السياسية ليطال أمن واستقرار الوطن هذا هو الخطر الذي يستفز منه المواطن كثيرا ويدخله دائرة القلق على حاضره ومستقبله فهو يدرك أن لولا الأمن والاستقرار لما حققت اليمن خطوات كبيرة في اتجاه التنمية وعلى الجميع أن يعملوا بهذا الاتجاه مهما اختلفت التوجهات السياسية.

● اليوم نسمع ونلحظ من بعض القوى السياسية مواقف غريبة وعجيبة.

لا تدرك خطورتها على الأمن والاستقرار وعلى جهود تثبيت احترام دولة النظام والقانون.

● نقول لمثل هؤلاء أن الشعب قد ترك لكم ساحة الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير لتمارسوا فيها كل الاساليب المشروعة في البروز والظهور والطموح للوصول إلى مواقع متقدمة.. لكن من الخطر جدا أن تتجاوز حدود اللعبة إلى ثوابت رئيسية وأساسية فهذه فتنة كبرى لن يغفر لكم الوطن والمواطن أي عبث أو استهتار بهذه الثوابت..

alariky@maktoob.com